المحاضرة الثانية
ظاهرة الانتحال في الشعر العربي القديم

إن الدارس لتاريخ الشعر العربي القديم يلاحظ جليا أنه قد عرف تأخرا في جمعه وتدوينه نظرا لأسباب حضارية، فإن العرب لم يكونوا على دراية بالكتابة قبل مجيء الإسلام، وهو ما يدفعنا إلى الرواية الشفوية التي قد تطرح تساؤلات وإشكالات في صحة ما وصل إلينا من أشعار، أو بتعبير آخر قد تكون بعض الأشعار معروفة للمتأخرين أو تنسب إلى غير أهلها.

وإن أول من تنبه إلى ظاهرة الانتحال ابن سلام الجمحي، وقد استدل على ذلك أن الرواية الشفوية لا تؤدي دورها الكامل في ظل الصراعات والاقتتال الدموي الذي عرفه العرب في الجاهلية.

- لا توجد قرينة على انتباه بعض رواة الشعر إلى الشعر الجاهلي.
- شعر منحول يقول ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء «شعر» موضوع منتحل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته.

وقد انتقد ابن سلام الجمحي محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية فقال عنه «كتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس بشعر، وإنما هو كلام مؤلف معقود بقوافي».

أسباب الانتحال:

تؤكد الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والمعاصرة أن هناك أسبابا متعددة في ظهور الانتحال منها ما تعلق بالجانب الشفوي، ومنها ما تعلق بالقبيلة، وأخرى تعود بالأساس إلى غياب التدوين للمدونة الشعرية القديمة في العصر الجاهلي، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

1) الرواة

اتسم الرواة بتسرع كبير في إنشاد الشعر من خلال نسبة كثير من الأشعار إلى غير قائليها، وهذا ما ذهب إليه ابن سلام الجمحي بقوله: «ثم كان الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قبلهم ما ليس منها» ويذهب ابن سلام مثلا على ذلك أن ابن إسحاق «كان همه أفسد الشعر وحمل كل من لقيه منه، وكان من علماء الناس بالسير، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوز ذلك عاد وثمود، فكتب لهم أشعارا كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافي».

وقد أشعار ابن المنذر في كتابه طبقات الشعراء : « قال خلف الأحمر ، وكان عالمًا بالشعر والغريب والنسب ، وأيام الناس شاعرًا مطبوعًا مفلقًا كثير الشعر جيده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم والأدب أكثر شعرًا منه . ولما مرض قال : ليست هذه الأبيات لمن ذكرتها ، وإنما هي لي ، وأنا قائلها » . ويؤكد ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء صنعة انتحال خلف الأحمر لشعره « كان خلف يصنع الشعر ، ويُنسبه إلى العرب فيأخذ ما شاء » .

وأشار ابن خلكان في وفيات الأعيان إلى ما ذهب إليه ياقوت الحموي من أنه أورد القصة الآتية لخلف الأحمر « قال خلف الأحمر أتيت الكوفة لأكتب من الشعراء ، فعلقوا به علقة فكنت أقدمهم المنعول وأخذ الهجيج » .

كما انتقد المفضل الضبي عماد الرواية ، إذ « كان غير موثوق ، وكان يدخل شعر الرجل غيره ، ويدخل غير شعره ، ويزيد في الأشعار » .

② الحمية القبلية

كان لبعض القبائل العربية دور كبير في انتحال الشعر وانتحاله كثيرة نظرًا لما كان له من مكانة في حياة العرب في الجاهلية ، وربما يرجع إلى الرغبة في الحضور من خلال النقد على الأشعار فيذمها وينسبها إليهم ليزدروا عشيرتها ويشوهوا بينها وبين سائر القبائل ولاسيما أن بعض القبائل التي قلّ شعرها لم يكن لهم من سبيل سوى اللجوء إلى مثل هذا الفعل .

يقول ابن سلام « لما رأيت العرب ورواة الشعر وذكر أيامها وما مُنُوا به استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قد قلّ وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسنة شعرائهم .

ن الرواية الشفوية.

لا يختلف اثنان أن الرواية الشفوية دورًا كبيرًا في نقل الأشعار بين الناس والقبائل، إذ أنه لكل شاعر فحل راوية يقوم بروايته شعره وينقله إلى غيره، كما أن لهذه الظاهرة جوانب سلبية، منها أن تكون الرواية الشفوية معرضة لتحريف نسبة بعض الأشعار أو زيادة أبيات منها قبل الراوية مما يترتب عليه استرجاع الشريد الشعري كاملًا، ومنها قديمًا إلى زيادة أو نقصانه، تكون تحت ضغط القبيلة، أو كره الشاعر، أو محاولة نسبة الأشعار إلى من هم كما فعل حماد الراوية (ت ١٥٥هـ) حيث انتحل قصيدة في مدح أبي موسى الأشعري ونسبها إلى الحطيئة.

الاستشراق والشعوبي بين الشك والحقيقة -

الاستشراق وغايته :

(أ) هناك من يرى أن الاستشراق حركة علمية بحتة نشأت بدراسة العلوم الشرقية ولا سيما المتعلقة بالتراث الشرقي والديني، وقد عاونت تحقيق كثير من المخطوطات تحقيقا علميا دقيقا

(ب) وهناك من يرى في الاستشراق حركة تبشيرية استعمارية، وإن كانت ظاهرها علميا ومذهبيا إلا أنها أصلا كانت غير ذلك، حيث حاولت طمس معالم الدين والتشكيك في بعض أصوله للإساءة للمسلمين عامة والعرب خاصة يدفع الجاليات الدينية الإسلامية

هناك كتب ألفت في هذا الميدان ولعل أبرزها :

(أ) المستشرقون يجب أن يفيقوا

(ب) الاستشراق أدوار وسعيد

(ج) المستشرقون الألمان بالإنجليزية : مجاوي

(د) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري محمود زقزوق

(هـ) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر أحمد سمايلوفيتش

منهجهم في دراسة التراث يقوم على الأمور التالية :

(أ) انتقاء المخطوطات العربية انتقاء سليما

(ب) جمع نسخ المخطوط الواحد

(ج) المقابلة وبيان الاختلافات بين النسخ للوصول إلى الأصح

(د) تحقيقه وفق الرسم وضوابط أصول علمية

(هـ) تزويده بالفهارس الكاملة والدقيقة

(و) إجادة الطباعة والإخراج والنشر وفق أصول متقنة

(عمل المستشرق الألماني برجستراسر في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) وهو عبارة عن محاضرات ألقاها على الطلاب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٢م)

جهود نولدكه تيودور Theodor Noldeke

أثار الكاتب نولدكه تيودور الشك في الشعر الجاهلي، وقد لاحظ أن الشعر الجاهلي
بسبب تشابه البيئة، وتكرار المعاني في الشعر، وفي صياغة الأبيات
الشعرية، وكذلك اضطراب الترتيب.

- معظم الروايات في العصر الأموي ليست سليمة، وتختلف عن صياغة الأولى، لأنه تمكنه
ودقق في كثير من القصائد، وكانت يتم عبر المشافهة، ونتيجة من الأخطاء لا تغيير بالإضافة أو النقصان
أن نولدكه الشكوك في مصدرها لأنها تم بعثت كثير من قضايا التوحيد الوثنية، ونفسر
- الشعر الجاهلي كان يفترض أن يتوفر الكثير، ولكن هذه الأمور لم ترد كثيراً إلا في دواوين الهذليين (القسم بالشمس
والقسم بالبشر)، وذكر اللات لا نجد من له الحماسة، وهذا قليل، ونستنتج أن العرب قد حذفوا
كثيراً من هذه الأبيات لا تتماشى وشرائع الدين الجديد (الإسلام) منها ما يذهب
إلى أنه كانت اتصالاً في الشعر الجاهلي، وقد تجنب المسلمون ذكر هذه الأوثان وعبادتها
وأدخلوا في المقابل أبياتاً شعرية بـ في أسماء الله بدلاً من أسمائها والآلهة.

يشير نولدكه تيودور انتحال الشعر وأن هناك أسباباً في تفسير ذلك:

١) بعض الرواة وضعوا قصائد على لسان شعراء جاهليين.
٢) اختلاف الروايات للقصيدة الواحدة.
٣) انتساب القصائد لدى الرواة، وقد يحدث أن تنسب القصيدة الواحدة لأكثر من شاعر.
٤) يتحدث نولدكه عن المعلقات وسبب تسميتها، وينكر أن تكون معلقة
على الكعبة وكتبت بماء الذهب، ويذكر أن المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ
مكة كالأزرقي وابن هشام لم يذكروا التعليق ولم يشيروا إليه، ولم يرد
ذكر التعليق في القرآن الكريم والحديث.

ومن الأخير يعترف المؤلف بقيمة الشعر الجاهلي وثرائه وغناه، ذلك أنه يمثل
لغة جاهلية، ووصفية في وقت ما، من خلال إبراز روح البطولة فيه
والرجولة والفتوة، وهو ما يفتقد عند كثير من الشعوب.
وله إسهامات كثيرة في تحقيق الشعر الجاهلي: تحقيق ديوان عروة بن الورد (١٨٦٤)
ترجمة المعلقات المشهورة مع الشرح الجيد.

الغرب وليم Wilhelm Ahlwardt

أصدر الوارد سنة 1872 دراسة (ملاحظات على جملة الشعر الجاهلي) وقد أصدر سنة 1870 (العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين) ثم سنة 1870 في باريس 1885 وقد قرأ الكتب فوجد فيها ما دفعها أن القول الفصل في موضوع الشعر الجاهلي ليس بسهل وأن ما

أنه قرأ في كتب الأدب كحماسة أبي تمام والأغاني والمغني اللبيب للسيوطي قد حصل له لمزة قلب لذكرته شاعر ولهذا البيت يسود الشك في صحة ذلك لأنه المسافة الزمنية بين زمن الشعر وزمن جمع الشعر وتدوينه 150 سنة مسافة طويلة، إضافة إلى أن الرواة الشفوية كثيرا ما خانت الشعراء في وقتها.

- كتب جمع الشعر لتفسير القرآن الكريم وهناك نشأت مدرستان (البصرة والكوفة) تعتمد في دراستها على الشعر الجاهلي وقد اعتمدوا على الشعر الجاهلي فقط لإثبات الفصاحة واللغة اللغوية على الرغم من أنه هناك بعض الشعراء من انتسم شعره بالبذاءة والركاكة. وكثرة اللغويين لم يأخذوا به.

- غموض بعض الرواة فلا تستطيع تقديم إجابة عن كل الأسئلة ربما معلم يستشهد أشعارا لم تقل على الإطلاق ولم يسمعها قط وإنما اخترعها لشهرتهم.

- قلت من قيمة الشعر بوصفه مصدرا على الشعر.

- ذهب أن تكون المعلقات قد علقت بالكعبة، وبرد على كريمر فون Von. Kremer أنها سميت بالمعلقات لأنه كل قطعة منها قد علقت بالأخرى بنفس وحدة الوزن والروي عنده.

- من العلماء الذين نفوا الرقابة الشرقية أن القصيدة كتب لشاعر واحد.

مراجعات

المحاضرة الثالثة

مفهوم السرقات الأدبية وموقف النقد العربي

تشكل قراءة النص الشعري العربي القديم واحدًا من روافد النقد العربي الحديث من حيث الدراسة والتحليل والحكم النقدي، وقال أن هناك تفاوتًا كبيرًا بين النقاد القدامى في النظر إلى أشعار الشعراء من حيث الجودة والرداءة، وقد يتوقف منهم الحكم بسبب تعداد إلى الوقوف عند مواطن الأخذ أو السرقة، أو التتابع في المعنى أو اللفظ، وهو ما أدى إلى إثارة حركة نقدية بين النقاد في العصر الواحد أو بين كل واحد منهم النقاد يستعين بآليات منهجية ومنزوعة العزيمة في تتبع مواطن السرقات، أو الانتحال، أو التناص، وعليه فإنه البون شاسع بين النقاد في النظر إلى هذا المفهوم، وتداخل مفهوم السرقات مع مفاهيم اعتقد أنها تختلف عن غيرها في الدلالة والمفهوم، ولكنه أمام النقاد، أو مع قدرتهم على التفريق بين المصطلحات، أو خصية بعضهم يجعلهم يخلطون بين هذه المفاهيم، ويعتقدونها بأنها مصطلح واحد، وهو ما يبين أن هذا الأمر يحتمل كثيرًا من المراجعة والتدقيق انطلاقًا من هذه النظرة فإني أرى أن هناك كثيرًا من الخطأ في هذا المفهوم، ولعل ذلك يعود إلى ما يلي:

1) عدم الوضوح في المفهوم
2) التلبيس
3) الإرهابات الشعبية أو الفكرية.

ولكنه كل هذا لا يعود إلى وجوب الاتباع، بل إن الحقيقة العلمية تقتضي الاستدلال والوضوح لإزالة اللبس، وتوضيح المفاهيم بغية تقديم خدمة للتراث العربي القديم في العربي. ولكنه هذا لا يعني أننا نطعن في هذا التراث بقدر ما نحاول الوقوف عند هذه المفاهيم بشكل علمي موضوعي، من ذلك ترتيط السرقات بالتشبيه على الرغم

من اختلاف بين المفهومين، لأن الذي يقع بعملية تضمين أشعار غيره، لا يتهم تلقائيا أنه يقع بالسرقة، بل يُراد بذلك إضافة قيمة جمالية للنص الشعري، أو إضاءات المفارقة الفكرية، بينه وبين مضامين، أو بينه وتجاربه، لجليلة.

وقد أوضح ابن رشيق في كتابه العمدة في باب المخترع والبديع الفرق بين الاختراع والابتداع من حيث، أن:

- الاختراع: خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بها
- الابتداع: إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، الذي لم تجر العادة بمثله.

مرر النقاد العرب القدماء على الوقوف عند السرقات الأدبية للكشف عن أسبابها:

(أ) عناية النقاد بأصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها.

(ب) يغلب البحث في السرقات الأدبية ثقافة غزيرة، وشاعية مستمرة للأعمال الأدبية والنقدية من أجل أن يكون الناقد ملمًا بأعمال الأدبية عند أصحابها الأصليين.

(ج) المرامية من أي وآخر من خلال دراسة الأعمال الأدبية، دراسة موضوعية للكشف عن سرقاتها، أن وجد.

(د) البحث في الاتباع والابتداع، أي بين المخترع، والمقلد للتبع.

انطلاقا من هذا فإنه ما يلاحظ على الدراسات البلاغية أنها كانت تقليدية في بعضها جزئيا، وقد وقع البلاغيون في بحث قضية التبع.

ويرد القاضي الجرجاني على البلاغيين بقوله «لا يعرف من سرقة إلا من سمع».

وقد أشار أبو فراس إلى هذا المعنى بقوله:

وإذا وصفت الشيء سبقا .: فأنا المقلد وهم

وبالعودة إلى الشعر الشوري القديم نجد أنه طرفة بن العبد أشار إلى ذلك:

ولا أعيب على الأشعار أسرقها .: بعد امرئ فيك وشر الناس من سرقا

وإن أحسن بيت أنت قائله .: بيت يقال إذا أنشدته صدقا

والمتتبع للتراث العربي يجد أنه قد تمثل بمجموعة من المفاهيم التي استقرت على هذا النحو، على الرغم من أن هناك فروقًا دقيقة بينه وبين المصطلحات :

- السَّرِقَة : مواءمة بعض الألفاظ أو بعض المعنى.
- الانتحال: أن يدّعي شاعر شعر غيره، وينسبه إلى نفسه
- الادعاء : أن يدّعي غير الشاعر لنفسه شعر غيره
- الإغارة : أن يدخل بيتًا ويخترع معنى جميلًا يختاره منه هو أعظم منه ذكرًا، وأبعد صوتًا فيروي له دون قائله .
- المرافدة : أن يُعين الشاعر صاحبه بأبيات يهبها له
- الاختلاس : هو تحويل المعنى من غرض إلى غرض وقد يسمى (تَنَاوُلَ المعنى) .
- المواردة : أن يتفق الشاعران دون أن يسمع أحدهما الآخر.
- الاستلحاق : هو السرقة فيما دون البيت وقد يسمى النسخ .
- الاقتباس : هو أن يضمن الشاعر آية أو كلمة من القرآن الكريم، ومن الحديث النبوي الشريف، والاقتباس في عرف النقد العربي يكون على الأوجه الثلاثة الآتية مقبول ① مباح ، ② مردود .

أنواع السرقة

① سرقة الألفاظ
② سرقة المعاني
③ سرقة الألفاظ والمعاني

ملاحظة تجب الانتباه إلى أنه هناك أنواعًا من المعاني :

- المعاني المشتركة
- المعاني المتداولة
- المعاني المخترعة
- المعاني المبتذلة

وقد أشار أبو العلاء المعري إلى توارد المعاني عند الشعراء « لعلك رأيت الشاعرين يتفقان ويتواردان في اللفظ المتفق والمعنى واحد منهما سابق، والآخر يسبح بشوه ؟ فأجاب قائلًا تلك عقول رجال توافقت على اكتسابها ، ويقول المتنبي « والشعر عبارة ، وربما وقع الحافر على الحافر ».

أما أبو هلال العسكري لا يرى السرقة في المعاني والأفكار، وأن السرقة مقصورة على أئمة الشعراء السابقين، فمن أخذ من اللفظة كان له سابقًا، ومن أخذ من معناه كان له تاليًا، ومن أخذه فكساه لفظًا من عنده أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه .